

الدكتور محمد عمارة



العالم الإسلامي
والمغتربات الدولية الراهنة



دار الوفاء

العالم الإسلامي
والمغتربات الدولية الراهنة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

يجاز الوقاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده الجامعة لكتاب

٢٥٦٩٣ / ٢٥٦٩١ / ٢١٦٧٢١

المكتبة : إمام كلية الطب ٢٤٧١٣٣ من ب ٢٣٠ فلاكي ٩٧٧٨



العالم الإسلامي
والمغتربات الدولية الراهنة

الدكتور محمد عمارة



تمهيد فى المصطلحات

فى بداية الحديث عن « المتغيرات الدولية » - التى بدأت معالمها فى الوضوح ، وأخذت تتجسد فى أرض الواقع - فى بلاد المعسكر الاشتراكي - فى عقد الثمانينات من هذا القرن العشرين - وعن التأثيرات الدولية لهذه المتغيرات - وخاصة على العالم الإسلامى - وذلك من وجهة نظر إسلامية . . . فى بداية هذا الحديث - الذى سيعتمد إلى تكثيف الرأى والرؤية فى نقاط - يحسن أن نبدأ تحديد مضامين بعض المصطلحات التى شاع ويشيع استخدامها فى هذا المقال .

فـ « المتغيرات الدولية » قد لا تبدأ « دولية » ، وإنما قد تبدأ « محلية » و « إقليمية » ، فى إطار قارة من القارات ، أو حضارة من الحضارات ، أو أمة من الأمم ، لكنها تكتسب وصف « الدولية » من التأثيرات التى تحدثها على النطاق الدولى والعالمى .

وبنظرة على « التاريخ الحى » - الذى لاتزال أحداثه فاعلة فى الواقع الحضارى الراهن - يستطيع الإنسان أن يشهد معالم لمتغيرات دولية ، بدأت فى جزء من العالم ، ثم ما لبثت أن امتدت تأثيراتها إلى النطاق الدولى والعالمى .

فالغزوة الإغريقية - بقيادة الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) - للشرق قد مثلت متغيراً دولياً فى علاقة الغرب بالشرق لعدة قرون .

والفتوحات الإسلامية - التى أعقبت ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية - والتى أثمرت عن قيام الدولة الإسلامية ودار

الإسلام — قد مثلت متغيراً دولياً ، طوى صفحة الهيمنة « الإغريقية — الرومانية — البيزنطية » على الشرق ، وبدل مراكز الثقل ، وغير علاقات القوى فى العلاقات الدولية لأكثر من عشرة قرون .

والغزوة الصليبية [٤٨٩ — ٦٩٠ هـ : ١٠٩٦ — ١٢٩١ م] قد مثلت متغيراً دولياً ، حاولت به أوروبا إعادة هيمنتها على الشرق من جديد ، واستخدمت فى سبيل ذلك التحالف مع الوثنية التتية ضد الإسلام والمسلمين !

الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة — التى بدأت بالاكشافات الجغرافية . . والانتفاف حول العالم الإسلامى — عن طريق « رأس الرجاء الصالح » [٩٠٣ هـ — ١٤٩٨ م] واحتلال الأتراك ، ثم اقتحام القلب — بحملة بونايرت على مصر [١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م] — هى واحدة من المتغيرات الدولية التى أثمرت الحضارة الغربية — فى طورها الرأسمالى — كما أثمر طورها الإقطاعى الغزوة الصليبية — وهى قد استعانت وتسعين ، ضد الإسلام وأمنه وعالمه بالتحالف مع « اليهودية — الصهيونية » . . كما استعانت سابقتها — الصليبية — بـ « التتر الوثنيين » !

« فالتغير الدولى » ، ليس بالضرورة أن يكون « دولى المنشأ » ، وإنما عادة ما يكون إقليمى النشأة ، لكنه كى يكتسب وصف « الدولى » ، لابد أن يكون « دولى التأثير » .

هذا عن مفهوم ومضمون مصطلح « المتغيرات الدولية » .

أما عن مصطلح « النظام العالمى » الذى يشيع استخدامه فى الحديث عن « المتغيرات الدولية » الراهنة ، فجدير بالملاحظة جدة

وحداثة هذا الذي نسميه بـ « النظام العالمى » ، وذلك إذا ما قيس بتاريخ العالم مع « المتغيرات الدولية » . . . فقديمًا كانت « متغيرات دولية » ، دون أن يصاحبها « نظام عالمى » بالمعنى الذى يفهم من هذا المصطلح الآن . ولقد تبلور « النظام العالمى » ، كنظام تعترف به الدول والأمم والأسر الدولية ، تدريجياً ، ومن خلال صراعات القوى الاستعمارية الغربية على استعمار القارات غير الأوروبية . . . ومن خلال صراعات هذه القوى الاستعمارية بعضها ضد البعض الآخر على غنائم الاحتلال والاستعمار !

فعبير العديد من المؤتمرات التى عقدتها القوى الاستعمارية ، والاتفاقات الودية وغير الودية ! . التى أيرمتها فيما بينها فى أعقاب حروبها الأوروبية ، وغزواتها الاستعمارية - خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - تبلور « النظام العالمى » ، بمفهومه الراهن ، عقب الحرب الاستعمارية [١٩١٤ - ١٩١٨ م] - التى بدأت غربية المنشأ والمقاصد - واكتسبت صفة العالمية بسبب التأثيرات والضحايا؟! - . . . تبلور « النظام العالمى » فى صورة « عصبة الأمم » [١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م] معبرا عن توازن القوى فى ذلك التاريخ .

فلما طوت حرب [١٩٣٩ - ١٩٤٥ م] - والتى ، هى الأخرى ، غربية المنشأ والمقاصد ، وعالمية الضحايا والتأثيرات ؟! - لما طوت صفحة « عصبة الأمم » ، قام « الإطار » الحالى لهذا « النظام العالمى » ممثلاً فى « الأمم المتحدة » و « مجلس الأمن الدولى » [١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م] .

هذا عن مفهوم ومضمون « النظام العالمى » الذى يشيع الحديث

عنه في الأدب السياسي المعاصر . . وهو « نظام » - كما تبين - غربي المنشأ والمقاصد ، و« عالمي » الامتدادات والتأثيرات ؟

المتغيرات الدولية الراهنة :

أما هذه « المتغيرات الدولية » الراهنة - والتي بدأت بتراجع وسقوط الخيار والتطبيق الماركسي ، في الدول الاشتراكية الأوروبية ، في عقد الثمانينات - والتي مازالت تطوراتها وتداعياتها حادثة ومتنامية الآن ، فإن فهمها ، وإدراك تأثيراتها على « النظام العالمي » بعامة ، وعلى عالم الإسلام خاصة ، لن يتأتى ، على الوجه الأكمل ، إلا إذا نحن أدركنا :

أ - خصوصيتها الحضارية الغربية .

ب - وموقعها من التحديات التي تواجه النهضة الإسلامية .

ج - و« البديل الإسلامي » ، الذي يقدمه الإسلام ، والذي يمتلكه المسلمون في مواجهة هذه التحديات .

وتلك هي القضايا الثلاث ، التي تطمح هذه الصفحات إلى تقديم تكثيف لحقائقها في عدد من النقاط ، ثم تتبعها بـ « شهادة التاريخ » على صدق هذا التحليل .

الخصوصية الغربية لهذه المتغيرات

قبل ظهور الخيار الماركسي - في صورته النظرية - كانت الليبرالية ، وتطبيقاتها الرأسمالية ، هي الخيار السائد في الفكر والتطبيقات في إطار الحضارة الغربية .

وكانت أصول هذا الخيار الليبرالي الغربي ، التي اتفقت عليها مدارس الفكر الغربي تتمثل في :

الفلسفة الوضعية : التي تقف بالحقائق عند ما تدركه الحواس والتجارب الحسية من الواقع المحسوس - عالم الشهادة - وما عدا ذلك فهو ، برأيها ، ميتافيزيقا لا ترقى تصوراتها ومدرعاتها إلى مرتبة « العلم » و « اليقين » .

والفلسفة التشريعية : التي لا تضع على « المصلحة » أية قيود دينية أو أخلاقية عند سن التشريعات والقوانين ، فيفصل « الدين » عن « الدولة » وشؤون العمران عزّل الدين عن الاجتماع الإنساني ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتشريع ، كما عزلته « الوضعية » عن مناهج التفكير ! .

والفلسفة السياسية : التي جعلت الطبقة البرجوازية « الملاك » هي - وحدها - حاملة رسالة النهضة والتقدم ، وأيضاً المستأثرة بأغلب وأطيب الثمرات ! .

والفلسفة الاجتماعية : التي تجعل « الفرد » و « الفردية » محور الاهتمام ، وحافز التقدم ، والمحور الذي يدور من حوله النظام .

على هذه المعالم والأصول اجتمعت مدارس الفكر الغربي ، التي

تبلورت في إطار الموجة المادية للعلم الغربي ، تلك التي انطلقت ماديتها من طبيعة الحضارة الغربية ، وتصادت هذه المادية فيها بسبب الصراع مع الكنيسة والكهانة والسلطة الدينية للبابوات !

فلما جاء كارل ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣ م] وفريدريك أنجلز [١٨٢٠ - ١٨٩٥ م] وصاغوا الخيار الماركسي ، كنتقيض غربي للبيرالية الرأسمالية - في [البيان الشيوعي] سنة ١٨٤٨ م - لم يمثل هذا الخيار انقلاباً كاملاً على أسس " الخيار الحضاري الغربي " ، وإنما وقف عند حدود " الانشقاق المتميز " في إطار هذا الخيار الحضاري الغربي ، المتحد في الأصول .

فالماركسية - في الفلسفة - " وضعية " ، تصاعدت بـ " الوضعية - الميتافيزيقية " إلى " الوضعية - المادية " .

والماركسية - في علاقة الدين بالدولة والمجتمع - تصاعدت بالموقف اللبيريالي . فلم تكتف بفصل الدين عن الدولة ، وإنما طمحت إلى " تحرير الإنسان من الدين ! .

وهي - في السياسة - انتهجت المنهج الطبقي ، لكنها بدلاً من المراهنة على البرجوازية ، كحاملة لرسالة التقدم ، راهنت على البروليتاريا . فاستبدلت طبقة بطبقة ، مع الحفاظ على المنهج الطبقي .

أما في الاجتماع ، فلقد زعمت أنها تحل " الجماعية " محل " الفردية " . . لكن التطبيق أسفر عن إحلالها " الحزب " و " دولته " محل " الفردية " و " الجماعية " كليهما ! .

وهكذا كان الخيار الماركسي مجرد " خلاف " و " انشقاق " في إطار الحضارة الغربية ، ذات الأصول " الوضعية " " العلمانية " ،

الطبقية التي رأت نفسها - لعنصريتها - الوارث الوحيد للحضارات
الأخرى ، على النطاق العالمى ، كما أن الطبقة - بورجوازية أو
بروليتاريا - هى الوارث الوحيد لسلطات وثمرات المجتمع القومى ! .

ولقد ظل الخيار « الماركسى - الشمولى » مجرد خيار نظرى -
يصارع الخيار « الرأسمالى - الليبرالى » على أرض الحضارة الغربية -
قراءة السبعين عاماً [١٨٤٨ - ١٩١٧] ، فلما وضع فى الممارسة
والتطبيق ، بعد ثورة سنة ١٩١٧م فى روسيا ، وقبر جمهوريات
الاتحاد السوفيتى ، ثم دول أوروبا الشرقية على السير فى طريق هذا
الخيار - كان هذا السقوط لهذا الخيار - بعد سبعين عاماً من التطبيق !؟
- فعادت الحضارة الغربية إلى الوحدة والاتحاد على خيارها
« الليبرالى - الرأسمالى » من جديد .

فهى ، إذن ، « متغيرات غربية » المنشأ والطبيعة ، يعود بها الخيار
الحضارى الغربى - « الليبرالى - الرأسمالى » - إلى الهيمنة على كامل
محيطه الحضارى ، بعد سقوط هذه « الجملة المعترضة » لمجرأه ! .

ولكنها ، أيضاً ، « متغيرات دولية » التأثير ؛ لأن الغرب ، الذى
يمارس هيمنته الاستعمارية العالمية ، منذ غزوته الاستعمارية الحديثة ،
تعود هيمنته الاستعمارية هذه إلى الوحدة ، بعد زوال هامش الخلاف
والتناقض - الذى حاولت الأمم والحضارات المستعمرة والمستضعفة
الاستفادة من وجوده ، إبان العقود السبعة التى قام فيها نظام وعالم
للخيار الماركسى . تعود هيمنة الغرب للوحدة ، وقبضته للبطش ،
وقوته للغطرسة ، فى صورة هذا الذى يسميه بـ « النظام العالمى
الجديد » ، والذى هو - فى الحقيقة - « نظام غربى » فى « طور
جديد » ! .

موقع المتغيرات الدولية من

التحديات التي تواجهها

صحيح أننا يجب أن نقلع عن العادة السيئة التي تجعلنا نغض عيوننا عن أمراضنا الذاتية وسلياقنا الداخلية وعوامل تخلفنا الموروث، عكتفين بشركيز كل الأضواء على التحديات والمخاطر الخارجية على مشروع نهضتنا الإسلامية وخاصة تلك التي تتمثل في الهيمنة الحضارية الغربية على واقعنا وعلى الفكر السائد في كثير من تيارات الفكر في بلادنا . فتلك آفة تحول بين العقل المسلم وبين أن يبصر كل ما يعترض طريق نهضته من تحديات .

لكن الصحيح ، كذلك ، ألا نغفل عن دور التحديات الخارجية في حراسة أمراضنا الذاتية وعبوتنا الداخلية وتخلفنا الموروث ! . . . والتاريخ الحديث ، والواقع المعاصر على هذه الحقيقة من الشاهدين ! . . . قد لا يكون الغرب الاستعماري مسؤولاً عن كل أمراض الدولة العثمانية ، لكنه هو الذي حرص - رغم تناقضات دوله - على حراسة هذه الأمراض ، فحال دون مشروعات النهضة والتجديد لهذه الدولة . وفي مقدمتها مشروع محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ - ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] ومشروع الجامعة الإسلامية . الذي هندسه جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ : ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م] وطمح لتحقيقه السلطان عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ : ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] . لقد حرص الغرب الاستعماري الأمراض الداخلية : لنظفل ثغرات وفراغات لتدخله وننفذه ولامميزاته حتى جاءت لحظة وراثته لـ " دولة الرجل المريض " ! .

وقد لا يكون الغرب الاستعماري هو الصانع الوحيد لخلاف أحمد عرابي [١٢٥٧ - ١٣٢٩ هـ : ١٨٤١ - ١٩٢٣ م] والثورة التي قادها [١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م] مع الخديوي توفيق [١٣٦٨ - ١٣٠٩ هـ :

١٨٥٢ - ١٨٩٢ م] . . ولا الناصر الوحيد لأسباب الشقاق بين الشريف حسين [١٢٧٢ - ١٣٥٠ هـ : ١٨٥٦ - ١٩٣١ م] وبين الدولة العثمانية ، لكن الصحيح ، كذلك ، أنه هو الذى ضخّم هذه الخلافات وتساعد بهذه الانشقاقات ، ليتخذها تكتة يبرر بها مخططة المرسوم ويحقق فى ظلّها أطماعه المبيتة وهيمته التى جاء ليعيد بها أحلام الإسكندر الأكبر والصليبيين من جديد ! .

ومثل ذلك ، وقبل ذلك ، قد لا يكون الغرب مسؤولاً عن تخلفنا الموروث من عصور عسكرية الدولة والمجتمع ، فى الحقبة المملوكية - لكنه ، بالفكرية التى احتل بها عقول النخبة التى تغربت ، وبالتغيرات التى صاغ بها واقعنا على غط هذه الفكرية المتغربة ، قد أسهم فى وضع العقبات الكبرى أمام دعوات وحركات النهضة والإحياء الإسلامى . فزائل التخلف الموروث - عندما حرّسه - ليكوناً معاً جناحاً للتحدى الذى يحول بين الأمة وبين الانعتاق والانطلاق ! .

وعلى هذا النحو يجب أن تكون رؤيتنا لموقع « التحدى الخارجى » من أمراضنا الذاتية ، وعبوبنا الخاصة ، وتخلفنا الموروث ، و« التحديات الداخلية » لنهضتنا الإسلامية .

إن الاستبداد الداخلى ، فى بلادنا الإسلامية ، هو « داخلى » الوجه ، واللغة ، والنسب ، والأسلوب ، لكنه فى الحقيقة ، صناعة غربية ! . فالغرب الاستعمارى هو الذى أقام ويقيم نظمه ، وهو الذى يحرسها ويحميها ، ويستبدلها عندما يصيبها الإفلاس ! .

وإن المظالم الاجتماعية ، الناشئة عن دولة الأغنياء ، التى تركز الثروة بيد القلة و تشر الفقر فى محيط الكثرة ، والمتسمة بالسفاهة والفجور ، هى أمراض داخلية الشكل ، لكنها ، فى الحقيقة ، صناعة غربية ! . فالغرب هو المستنزف الأول لثروات عالم الإسلام ، وما سبف سفهاؤنا إلا الفتات الذى بدعه لهم ، والذى يهين لهم - بنمط الحياة الاستهلاكى - ميادين السفاهة به وفيه ! .

إذا كانت « المتغيرات الدولية » المراهنة ، قد حرّوت الرجل

الأيض من أغلال الشمولية في نطاق الحضارة الغربية - حضارة الرجل الأبيض - فإنها قد تركت الصين ، وفيتنام ، وكوريا الشمالية ، وكوبا ، والحيشة وأفغانستان ، بل ومسلمي ألبانيا في هذه الأغلال !! والمكاييل المختلفة التي تكبل بها الليبرالية الغربية لجمهوريات البلطيق السوفيتية . وللجمهوريات الإسلامية السوفيتية شاهد آخر على هذا الذي نقول ، حتى لممكن للمرء ، دون أن يعدو الموضوعية ، أن يعزو هذه المتغيرات الدولية ، التي هي في الحقيقة ، إعادة الوحدة ، ومن ثم القوة للهيمنة الحضارية الغربية ، على الأمم والحضارات الأخرى ، إلى الخيفة التي توجسها الغرب من اليقظة الإسلامية ، تلك التي تهدد - إذا هي انتصرت - بانتزاع عالم الإسلام - من غالة إلى فرغانة . . وعن حوض نهر الفولجا إلى جنوب خط الاستواء - من فم الأسد الغربي . . بما يمثله ذلك من انقلاب - وليس مجرد تغيير - في موازين القوى . . وفي النظام الدولي الذي صنعه الغرب منذ عهد الاستعمار الحديث ! .

فهذه المتغيرات الدولية الراهنة هي متغيرات المنشأ والطبيعة والمقاصد . تعيد ترتيب البيت الغربي ، بيت الحضارة الغربية ، حتى تتصاعد بهيمتها وقبضتها على الآخرين ، وخاصة على عالم الإسلام ، الذي يمثلك - دون أمم الحضارات غير الغربية - خياراً حضارياً غير إقليمي ، وصالحاً للمنافسة والتفوق والعطاء للعالمين ! .

تلك هي مكانة هذه المتغيرات الدولية الراهنة من التحديات التي تواجه نهضة عالم الإسلام .

شهادة التاريخ

وإذا كان هناك من يمارى فى هذه الحقيقة ، التى تلح على إثباتها هذه الصفات ، حقيقة : العلاقة العضوية بين تحدى « المتغيرات » الدولية الراهنة و « النظام العالمى الجديد » وبين أمراضنا الذاتية وسليباتنا الداخلية وتخلفنا الموروث - وائتى تتخذ شكل « الصنع » أو « الحراسة » لهذه الأمراض الداخلية - أو هما معاً - فلعل فى « الوعى » بمضامين ودلالات صفحات المنعطقات التاريخية ، التى مثلت نقاط تماس واحتكاك عنيف بين حضارتنا الإسلامية وبين التحديات الخارجية . لعل فى الوعى بدلالة هذه المنعطقات الحادة والمواقف الفاصلة فى تطورنا التاريخى والحضارى ما يعين على تأكيد هذا المعنى الذى تلح على إثباته هذه الصفحات . . معنى : العلاقة بين « الداخلى » و « الخارجى » ، ودور « الداخلى » - وخاصة بمراحل الضعف والتراجع فى التهيئة « للخارجى » - بل وإغرائه بالتدخل ! - ودور « الخارجى » - بمراحل الاستضعاف ، أيضاً - فى صناعة « الداخلى » ، أو حراسته وإطالة عمره - وثمرات الوعى بهذه الحقائق فى الرؤية الشاملة لجميع التحديات ، الداخلية منها والخارجية . وفى تحديات أوزان كل منها ، لتقدير نسبة مخاطرها . ومن ثم نسبة الاهتمام الذى تستوجبه وتستدعيه من قوى وتيارات النهضة والإصلاح والتقدم والتغيير .

إن نظرة على صفحات هذا الصراع الحضارى التاريخى ، تكشف لدوى الآليات :

أن الغزوة الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ : ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] قد عاصرت وجود صراعات داخلية بين الدول الإسلامية ، فاطمية ،

وعباسية ، وسلجوقية ، لكن هذه الصراعات « الداخلية » لم تكن
هى سبب هذا التحدى « الخارجى » .

فالتخطيط الغربى لإعادة هيمنته - التى أزاقتها الفتوحات
الإسلامية - على الشرق قائم ودائم وقديم ، وهو يتحين الفرص
ويهيئ المناسبات ويتعجل الثغرات « الداخلية » فى جدار مقاومتنا
وجهاز مناعتنا . وكلمات البابا الذمى « أربانيوس الثانى » [١٠٤٢ -
١٠٩٩ م] فى المؤتمر التحضيرى الذى عقده فرسان الإقطاع الغربيين -
فى « كلير مونت » بجنوبى فرنسا سنة ١٠٩٥ م - شاهدة على ذلك ،
فلقد قال : « أنتم فرسان أقوىاء ، ولكنكم تتناطحون وتتباذون فيما
بينكم . ولكن ، تعالوا وحاربوا الكفار - [المسلمين] ؟ ! - يا من
تناذرتهم اتحدوا ، يا من كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً ! تقدموا إلى
بيت المقدس ، انتزعوا تلك الأرض الطاهرة ، واحفظوها لأنفسكم ،
فهى تدر سمناً وعسلاً ! . إنكم إذا انتصرتكم على عدوكم ورثتم ممالك
الشرق » (١) ؟ !

فالتحدى « الخارجى » كان العامل الأول والحاسم فى هذه الغزوة
الصليبية - التى استفادت من الأمراض الداخلية - ثم رعتها ونمتها
وحرصتها لقرنين من الزمان ! .

وإن صراعات شاور [٥٦٤ هـ - ١١٦٩ م] وضرغام [٥٥٩ هـ -
١١٦٤ م] - وهما الوزيران الفاطميان بمصر إبان تعرضها لخطر الغزو
الصليبي لها - قد مثلت « ثغرة » حاول منها هذا الخطر امتلاك مصر
وكسر شوكة مقاومتها . لكن هذه الصراعات لم تكن سبب الخطر

(١) انظر كتابنا : [العرب والتحدى] ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ط القاهرة ١٩٩١ م .

والتحدي ، بل التَّكَاةُ لنجاح بعض جولاته . ولذلك وجدنا صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩ هـ : ١١٣٧ - ١١٩٣ م] - وهو يتصدى للخطر والتحدي - لا يجعل معركته الأساسية ضد « شاور » و« ضرغام » وإنما ضد الجيوش الصليبية . وهو عندما تخلص من ضرغام [٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م] ومن شاور [٥٦٤ هـ - ١١٦٩ م] فإنما كان يؤمن الجبهة الداخلية لتكون أكفأ في ملاقاته ومواجهة التحدي والخطر الرئيسي ، الخارجى ! .

والغزوة النثرية [٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م] : التي دمرت بغداد - ذلك الدمار الذي ذهب مثلاً على التاريخ على قمة الهمجية وذروة المأساة - قد استفادت من دسيسة الوزير الشيعي مؤيد الدين بن العلقمي [٥٩٣ - ٦٥٦ هـ : ١١٩٧ - ١٢٥٨ م] الذي خان خليفته العباسي المعتصم بالله [٦٠٩ - ٦٥٦ هـ : ١٢١٢ - ١٢٥٨ م] لأسباب طائفية ١٩ .

لكن هذه « الغزوة الداخلية » ليست هي التي صنعت غزوة التتار لبلاد الإسلام ، فالخلف « الغربي - المسيحي » مع « التتر - الوثنيين » ، والذي بدأ الترتيب له بالبعثة التي أوفدها البابا « ينوسنت الرابع » [١٢٤٣ - ١٢٥٤ م] إلى « قراقورم » - عاصمة الدولة الشرقية التتارية - والتي رأسها رجل الدين « جون ده بياني كابريني » - هذا الخلف هو الذي حول الغزوة التتارية عن وجهتها الأوروبية ، التي كانت لها في التخطيط التتري الأصلي ، وجعل حرايبها تتوجه إلى بغداد وديار الإسلام ١٩ . فلما هزمت بغداد التتار في سنة ٦٤٣ هـ سنة ١٢٤٥ م ، عاودوا الكرة ثانية ، فدمروها سنة ٦٥٦ هـ سنة ١٢٥٨ م ! .

والحملة الفرنسية على مصر والشرق [١٢١٣ هـ - ١٢٩٨ م] : والتي قادها بوناپرت [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] ، هل يتصور عاقل ، يعي

فلسفة التاريخ ، أن سببها كان الصراع الداخلي بين مماليك مصر وبين العثمانيين ١٩. وأن يونايرت قد جاء - كما زعم - حكماً لإنصاف السلطان من المماليك ٢٠. أم أن السبب الحقيقي والفاعل كان المد الاستعماري الحديث ، ذلك الذي دفع يونايرت لقيادة الجيش الذي جاء لإعادة تحقيق أحلام الإسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٤ ق. م] والتقيس لويس التاسع [١٢١٤ - ١٢٧٠ م] في الشرق ٢١.

والحملة الإنجليزية على مصر - حملة فريزر [١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م] ، التي انهزمت في معركة " رشيد " ، هل يتصور إنسان أنها قد جاءت لنصرة المماليك ضد محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ : ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م] ؟! أو أنها قد جاءت لتنفيذ ذات المشروع الذي حاول إنجازه يونايرت ، ولكن لحساب الاستعمار الإنجليزي ٢٢.

ومعاهدة لندن [١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م] : التي اجتمعت فيها كلمة الغرب - رغم تناقض مصالح دولة الاستعمارية - إنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا - ضد مشروع محمد علي باشا : توحيد المشرق وشبه الجزيرة العربية مع مصر والسودان واليمن وسواحل البحر الأحمر الإفريقية : هل كانت هذه المعاهدة ، التي بدأ بها حصار الغرب لهذا المشروع التجديدي للشرق الإسلامي ، هل كانت - كما قدمت - حلاً للصراع الداخلي بين محمد علي باشا وبين السلطان العثماني ؟! أو أنها كانت التحدي الخارجي ، الذي يحرس مرض " دولة الرجل المريض " ، ويحول دون تجديد شيايها بواسطة مشروع محمد علي باشا ، انتظاراً للحظة وراثة الغرب الاستعماري لها ، عندها تسمح تناقضاته بتوزيع هذا الميراث ٢٣.

إن فرنسا وإنجلترا هما اللتان حطمتا الأسطول المصري في تشرين
سنة [١٢٤٣هـ - سنة ١٨٢٧م] - وكان يحارب يومئذ تحت راية
السلطان العثماني !.

وإن روسيا هي التي أعلنت الحرب على الدولة العثمانية . في
نفس العام ، وأخضعتها لشروط معاهدة أدرنة المجحفة سنة ١٢٤٥هـ -
١٨٢٩م .

فلما رأوا في مشروع فحمد علي تجديدًا لشباب الدولة . يهدد
بالحيلولة دونهم ودون سيراثم لها ، اجتمعوا جميعاً ، بحجة الانتصار
للسلطان في نزاعه الداخلي مع محمد علي باشا . فكان الحصار الذي
أجهض مشروع التجديد . . وحرس الأمراض الداخلية للدولة
العثمانية حتى حان تقسيمها بين إمبراطوريات الاستعمار الغربي ، قطعة
قطعة . ثم حملة واحدة عقب الحرب العالمية الأولى !

والاحتلال الإنجليزي لمصر [١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م] : هل يصدق
عاقلي أن أسبابه كانت خلاف أحمد عرابي باشا [١٢٥٧ - ١٣٢٩هـ :
١٨٤١ - ١٩١١م] والثورة التي قادها مع الخديوي توفيق [١٢٦٨ -
١٣٠٩هـ : ١٨٥٢ - ١٨٩٢م] ؟ . وهل ضرب الإنجليز الإسكندرية
في ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩هـ : ١٦ يوليو سنة ١٨٨٢م - واحتلوها
بسبب النزاع بين « المائطي » وبين « المكاري » الإسكندراني ؟ !
وهل جاءت جيوشهم لحماية العرش الخديوي من العربيين
« العصاة » ؟ !

أو أن ذلك جميعه قد بيت بلبيل ؛ ليحدث ويتحقق ذلك الذي لم
يحدث ولم يتحقق في حملة فبراير سنة ١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م ، وهو

الذى سهرت إنجلترا على التمهيد لنجاحه ، منذ معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م ، بزيادة أعداد الجاليات الأجنبية بمصر ، ونشر المداس التبشيرية ، وازدواجية التشريع والقضاء ، بالمحاكم القنصلية ، والمختلطة . والديون - التى رهنّت ثروة مصر - وصندوق الدين - الذى هيمن على ماليتها - ومشروع الأسهم المصرية فى شركة قناة السويس . إلخ . إلخ . وهى خطوات على درب الاستعمار لمصر ، سبقت ثورة عرابي ، وعهد الخديوي توفيق ؟!

وتقسيم أشلاء الدولة العثمانية ، وإلغاء خلافتها : هذا الذى أنجزته قوى الاستعمار الغربى عقب الحرب العالمية الأولى ، هل كان سببه خلاف الشريف حسين بن على [١٢٧٢ - ١٣٥٠ هـ : ١٨٥٦ - ١٩٣١ م] مع الدولة العثمانية ، وعمره عليها فى ٣ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ - ٥ يونيو سنة ١٩١٦م أو أن ذلك قد تم تنويهاً لمخطط غربى ، سهر الغرب على بلوغ مقاصده منه لعشرات السنين ، بل إن تنفيذه قد تم وفق معاهدة « سيكس - بيكو » ، التى عقدت بين إنجلترا وفرنسا وروسيا فى جماد أول سنة ١٣٣٣ هـ - ١٠ إبريل سنة ١٩١٥م ، أى قبل عام من تمرد الشريف حسين ؟!

والعدوان الثلاثى على مصر فى ربيع أول سنة ١٣٧٦ هـ - ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦م : هل كان سببه تأميم مصر لشركة قناة السويس فى ذى الحجة سنة ١٣٧٥ هـ - ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦م ؟ أو أن هذا التأميم هو الذى كان رداً على سحب أمريكا والغرب لعرض تمويل السد العالى فى ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦م - والذى مثل حصاراً وتآدياً لمصر بسبب توجهها إلى سياسة عدم الانحياز ، ورفضها لحلف بغداد ؟!

وعدوان سنة ١٩٦٧م - صفر سنة ١٣٨٧ هـ - ٥ يونيو سنة

١٩٦٧م - : هل كان ثمرة لإغلاق خليج العقبة أمام الملاحاة الإسرائيلية فى مايو سنة ١٩٦٧م ١٩٤. أو كان حلقة فى مسلسل المخطط الغرب - الصهيونى « لتحقيق ما لم يتحقق فى عدوان سنة ١٩٥٦م ، ولإجهاض عوامل القوى والنهوض العربى ، وإحكام القبضة الغربية علينا بواسطة إسرائيل الكبرى ١٩. »

بل لعله من الضرورى ، والمفيد أيضاً ، أن نشير - بمناسبة الحديث عن العدوان الإسرائيلى فى سنة ١٩٥٦م وسنة ١٩٦٧م - إلى حقيقة أن العامل « الخارجى » - مشروع الهيمنة والاستعمار الغربى - هو الذى حقق لليهود والصهيانية اغتصاب فلسطين ، عندما استخدم الحلم الصهيونى لإقامة الشراكة « الغربية - المسيحية - اليهودية - الصهيونية »! ضد العرب والمسلمين ، لبناء قاعدة عدوانية فى قلب وطننا ، تمثل امتداداً لحضارته الغربية ، ورأس رمح لآلته الحربية ، وقفازاً لقبضته الحديدية التى تقوم على تحقيق استراتيجيته فى إجهاض تقدمنا ونهضتنا وانعتاقنا من أخطبوطه الاستعمارى . ولو كانت المواجهة بين القوة الذاتية لليهود الصهيانية وبين أمنا حتى مع أمراضها الذاتية - لتغيرت مجريات وثمرات هذا الصراع !

بل إن الدراسات العلمية الموثقة - ذات المصادر الغربية - قد أثبتت وتثبت أن المشروع « اليهودى - الصهيونى » إنما بدأ « غربياً - مسيحياً - استعمارياً » قبل أن يجتذب الغرب المسيحى إليه « اليهود - الصهيونيين » (١) ١٩. فهو مقطوع الصلات ، إلى حد كبير ، بواقع الشرق ودياناته وطوائفه - بمن فيهم اليهود الساميون - وهو بنت خالص للعوامل الخارجية ، المتمثلة فى المشروع الاستعمارى العربى الذى أغار

(١) انظر : محمد السمك | الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية | ، ط. مركز دراسات أبحاث الإسلامى ، القاهرة ١٩٩١م . وغريس هانسل [النبوة والسياسة] ترجمة محمد السمك ، ط. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

على بلادنا قبل قرنين من الزمان ، وفي المشكلة القومية لليهود
الغريبيين !.

إن الصراعات الداخلية - لو لم يوجد الطامع والمتربص الخارجي -
لا بد وأن نحل داخلياً ، ووفق قوانين الداخل ، وعلاقات القوى
الداخلية وتوازنها ، ولحساب هذه القوى الداخلية وحدها . وكذلك
حال الأمراض الذاتية ، يتم علاجها بواسطة المناعة الحضارية ، وهو
سبيل قصير ، وطبيعي ، ومأمون في العلاج !.

وليس هذا بالفرض النظري ، وإنما هو السبيل الذي حلت به كل
التناقضات والصراعات وعولجت بواسطته كل الأمراض الذاتية لامتنا
وحضارتنا في القرون التي سبقت اشتداد هجمة التدخل الخارجي
والغزو الغربي في شؤوننا الداخلية !. بل إنه هو سبيل حل كل
الصراعات وعلاج كل الأمراض في سائر الكيانات الحضارية التي لا
تهددها تحديات من خارج كيانها .

هكذا ، وفي ضوء الوعي بتاريخ هذا الصراع بين « المشروع
الغربي » وبين حضارتنا وبلادنا وأمتنا ، يجب أن نرى أحداث فصول
هذا الصراع - صراع منطقة الخليج !.

فهل كان « الطموح الإيراني » ، الذي تحدث عن تصدير الثورة
الشيعية إلى المجتمعات السنية ، والذي أخاف نظم البترول الخليجية
من نهجه الثوري ، هو سبب حرب السنوات الثماني | سبتمبر سنة
١٩٨٠م - يوليو سنة ١٩٨٨م | ؟!

أو أن استراتيجية الغرب ، الرافضة لوجود قوة إسلامية مستقلة ،
وبخاصة في بلاد الثروة النفطية ، ومن ثم سعيه لإجهاض قوة إيران

الثائرة ، ونموذجها المعادى للغرب ، كان هو السبب الحقيقي لهذه الحرب - التى هى الفصل الأول فى مأساة الخليج - ؟ . وفى سبيل تحقيق هذه الاستراتيجية استثمر الغرب خوف النظم الخليجية من هذه الثورة فى محاربتها ، قتالاً من القادر على القتال ، وعميلاً من القادر على التمويل ؟ .

وهل كان الاجتياح العراقى للكويت فى ٢ أغسطس سنة ١٩٩٠م هو السبب فى إدخال المنطقة بأسرها فى هذا المتعطف الخطر ، والمأساوى ، والبائس ، من الهيمنة الغربية . تحت مظلة هذا « النظام العالمى الجديد » ؟ ! .

أو أن هذا الاجتياح . قد كان - هو الآخر - « مصيدة غربية » ، اقتيد إليها النظام المستبد فى بغداد ؟ ! - وهو النظام الذى صنعه الغرب على عينه - أو على الأقل أغمض عينه عن جرائم استبداده ! ولقد استأجره واستخدمه لإجهاض قوة إيران الثورة ، فلما اقترفت الجريمة ، وألحز المهمة ، استدار الغرب ليجهض قوته هو أيضاً ؟ ! وذلك تحقيقاً لشوايت استراتيجية : إجهاض القوى الذاتية المحلية ، وإحكام القبضة الحديدية على المنطقة وثرواتها وتضمها الهشة . إغافة للحاضر عن محاولات الإصلاح ، وتطويراً لأحلام الأمة فى التقدم والنهوض ؟ ! ومرة أخرى

كيف نرى أمراضنا « الداخلية » ؟ .

أهى صناعة الهيمنة الغربية ، على مر تاريخ هذا الصراع ؟ .

أم أنها ، هى الأخرى ، إما « صناعة غربية » ؟ أو « محروسة »

بنفوذ الغرب وحرابه لتظل الثغرات مفتوحة ، دائماً وأبداً ، والمبررات جاهزة ، في كل الأوقات ، لهذه الهيمنة الغربية ، التي وإن تعددت صورها ، وتبدلت قياداتها ، إلا أن مقاصدها لا تتبدل ولا تتحول : الخيولة دون قوة ونهضة واستقلال دار الإسلام وأمتة وحضارته ، واستبقاء لأكبر الغنائم في فم « الأسد » الغربي ، ومنعاً لهذه الحضارة الإسلامية من أن تعود إلى ساحة المنافسة للغرب على النطاق العالمي ؟!

إن الغرب لا ينظر إلى حضارتنا الإسلامية نظرتة إلى الحضارات ذات الطابع الإقليمي والآفاق المحلية - حضارات الهند والصين واليابان ، مثلاً - فهذه لا تمثل منافساً ولا بديلاً للنموذج الحضاري الغربي ، وإنما هو ينظر إلى حضارة الإسلام - وبشهادة التاريخ - كالمنافس الأول ، والمزاحم الوحيد ، والبديل الأكيد لحضارته في معترك الصراع الحضاري العالمي ، ومن هنا فهو ينشأ أنياب وأظافر تحدياته في أحشاء « واقعنا » - الذي شكله خلال قرني هيمنته الاستعمارية على بلادنا - وفي تلافيف « عقولنا » - التي صاغها على التبعية والمحاكاة والتقليد لنموذجه الحضاري .

وإذا كان الغرب لا يستحي - بسبب غطرسة القوة - من الإعلان عن أن استراتيجيه إذاً أمتنا إنما تتلخص في :
إما التبعية لنموذجه الحضاري ؟!

وإما المواجهة بكل أسلحة القوة التي يمتلكها ؟!

وهو الإعلان الذي جهر به رئيس المجلس الوزاري الأوروبي - وزير خارجية إيطاليا - « جياني دييكلينس » - في جوابه على سؤال مجلة « النيوزويك » الأمريكية ، عن مبررات بقاء حلف شمال الأطلسنطي - الناتو - بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والغرب الذي كان اشتراكياً ؟! . فلقد تحدث رئيس المجلس الوزاري الأوروبي عن طبيعة المواجهة القادمة فقال :

« صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة ، إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم

الإسلامي « ١٩ » .

فلما سئل :

« كيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة » ؟ .

أجاب :

« ينبغي أن تحل أوروبا مشاكلها ، ليصبح النموذج أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم ، وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي ، فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة » (١) .

إنه إعلان : واضح .. ومحدد .. وصريح :

إما التبعية للنموذج الحضاري الغربي ؟!

وإما المواجهة - « الغربية - الإسلامية » - التي تجعل العالم « مكاناً في منتهى الخطورة » ؟! ..

أما « حل أوروبا لمشاكلها » و « ترتيب الغرب لبيته » - استعداداً لهذه المواجهة - فهو هذا الذي نشهده الآن : - التغيرات الدولية الراهنة - والنظام العالمي الجديد - ! .

في ضوء الوعي بهذه الحقيقة ، وبحقائق تاريخ هذا الصراع الحضاري ، يحسن بنا - بل ويجب - أن نعي دلالات أحداث صفحاته القديمة ، والحديثة ، والمعاصرة .. ونلك التي لم يجف مدادها حتى هذه اللحظات ! .

وأن نعي ، كذلك ، ما ستلذه ليالي الحاضر والمستقبل من عجائب الأحداث .

مشكلات يلدن كل عجيب !

فأليالي من الزمان جبالى

(١) [النيويورك] - الأمريكية - عدد ٢ يوليو ١٩٩٠م - والتقل عن [الأهرام] ، عدد ١٧ يوليو ١٩٩٠م ، مقال الأستاذ فهمي هويدي « الغرب والإسلام » . من يعادى من ؟ .

البديل الحضارى الإسلامى

وإذا كان العالم الإسلامى يملكوطنا تصل مساحته إلى خمسة وثلاثين مليوناً من الكيلومترات المربعة ، فى موقع حاكم حركة العالم وعلاقاته البرية والبحرية والجوية ، وتحتوى أرضه من المعادن والثروات ما يجعله : الأول فى البترول ، والمنجنيز ، والكروم ، والقصدير ، واليوكسيت . والثانى فى النحاس ، والفوسفات . والثالث فى الحديد . والخامس فى الرصاص . والسابع فى الفحم . والذى تمثل بلدة واحدة من بلاده - السبع والخمسون - هى السودان - من الأرض الصالحة للزراعة ما يمكنها من أن تكون سلة غذاء جنوب الكرة الأرضية كلها ١٢ .

إذا كان هذا مثال على خطر ما يملكه عالم الإسلام من الثروات المادية . فإن أخطر ما يملكه هذا العالم الإسلامى : هو العقيدة ، التى تؤمن بها أمة هى خمس سكان العالم الراهن - مليار ومئتا مليون نسمة وبها أعلى نسبة توالد فى العالم . وكذلك الخيار الحضارى المصطبغ بنسبة الله . بواسطة الوحى الوحيد الصحيح الذى حفظ من التحريف - القرآن الكريم - .

وهذا الخيار الحضارى الإسلامى ، هو البديل الحضارى الوحيد القادر على منازلة ومناقشة الخيار الحضارى الغربى على النطاق العالمى بشهادة التاريخ ! . . إنه :

خيار : « المعيارية الإسلامية » ، المؤسسة على كتابى « الوحى » و « الكون » ، لا على المادية الحسية وحدها ، والمؤمنة بعالمى

«الغيب» و « الشهادة » لا بظاهر من الحياة الدنيا دون سواء ! .

خيار: « الإسلام دين الجماعة » ، الذى تحمل فيه « الأمة » رسالة التقدم ومسؤولية النهضة لا طبقة واحدة برجوازية كانت أو بروليتاريا .

خيار : « العقلانية - الإسلامية » ، التى ترى النقل فى ضوء العقل ، وحكم غرور العقل بأفاق الوحى والنقل ، فلا تعرف الفصام النكد بين شريعة الله وبين حكمة الإنسان ! .

خيار : « سيادة الشريعة الإلهية وسلطة الأمة المؤمنة » ، الذى لا يعرف ثنائية التناقض بين ما لله وما للإنسان الذى هو خليفة عن الله ! .

خيار : « الفردية » ، التى لا تحقق السعادة « للفرد » إلا بـ « الجماعة » التى تحقق السعادة « للمجموع » ! .

خيار : « التميز الحضارى » ، الذى لا ينكر على الأمم الأخرى تميزها الحضارى ، بل يرى فى التعددية - فى الشعوب والقبائل - والألسن - والألوان - والأفكار - والشرائع - والحضارات - ستة من سنن الله فى الخلق والأكوان ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ولا تبديلا ! .

تلك « لمحة إسلامية » لهذه « المتغيرات الغربية » ذات التأثيرات الدولية ! ولثمرتها الجديدة : النظام الغربى الجديد ، الذى يفرض - بالقوة المتغلبرة - كنظام عالمى جديد ! .

ولموقع هذه المتغيرات ، ونظامها من التحديات التى تواجه يقظة أمة الإسلام ونهضة عالمه ، وللبديل الذى يمتلكه الإسلام والمسلمون فى معترك التدافع الحضارى العالمى .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد فى المصطلحات	٥
الخصوصية الغربية لهذه المتغيرات	٩
موقع المتغيرات الدولية من التحديات التى تواجهنا	١٣
شهادة التاريخ	١٧
البديل الحضارى الإسلامى	٢٩

رقم الإيداع : ٩٦٢٧ / ١٩٩٥ م

I.S.B.N: 977-15-0171-2

هذا الكتاب

* المتغيرات الدولية الراهنة هي متغيرات المنشأ والطبيعة والمقاصد ، تعيد ترتيب البيت الغربى ، بيت الحضارة الغربية ، حتى تتصاعد بهيمتها وقبضتها على الآخرين ، وبخاصة على عالم الإسلام .

* وفهم هذه المتغيرات الدولية الراهنة وإدراك تأثيراتها على «النظام العالمى» بعامة ، وعلى عالم الإسلام خاصة لن يتأتى إلا إذا أدركنا :

— خصوصية الحضارة الغربية .

— وموقعها من التحديات التى تواجه النهضة الإسلامية .

— والبديل الإسلامى الذى يقدمه الإسلام والذى يمتلكه المسلمون فى مواجهة هذه التحديات .

وهذه هى القضايا الثلاث التى تناولها هذا الكتاب .

* ويسرنا تقديم هذا الكتاب فى الوقت الراهن إلى القراء ، رجاء أن ينفع الله به .

الناشر

بدر الهفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكتبة الأرباب

ت : ٢٤٧٧١ / ٢٤٧٧٢ - / ٢٤٧٧٣

المكتبة : أمام كلية الطب ت : ٢٤٧٧٣ ص ب : ٢٣٠٠ فاكس ٢٥٩٧٧٧

